المحاضرة3: البحث الفلسفي من التقليدي إلى الرقمي

تمهيد: يعود لقاء البحث الفلسفي بالتقنية عامة إلى بداية القرن العشرين، حيث طرحت الفلسفة الألمانية مشاكل التقنية في الفلسفة، مع نقد ماركس للنظام الرأسمالي وسعيه الى استخدام الآلات لتطوير الانتاج، ومن ثمة تحل الآلة محل الانسان ويصبح هذا الأخير مجرد حلقة ضمن عملية الانتاج، وكذلك اعتبار هيدغر أن التقنية ليست فقط صناعة الأدوات بل هي نمط للوجود يستحوذ على الوجود الانساني، أما هابرماس فقد لاحظ أن التطور العلمي والتقني ينطوي على ايديولوجيا الهيمنة والسيطرة التي تمارسها البرجوازية في المجتمع... وليست الرقمنة الا مظهر من مظاهر التقنية، لذلك يجدر بنا التساؤل عن علاقة الفلسفة بالرقمنة باعتبارها مظهر تقنيا جديدا أكثر تأثيرا على حياة الانسان.

خصائص البحث الفلسفي التقليدي: يمكن أن نميز البحث الفلسفي عما عداه من أشكال التفكير من حيث الموضوع، المنهج، النتائج.

من حيث الموضوع: تدرس الفلسفة ثلاثة مجالات أساسية هي: الأنطولوجيا والابستمولوجيا والأكسيولوجيا.

من حيث المنهج: تستخدم الفلسفة عدة مناهج تحليلية وتركيبية كما هو الحال عند ديكارت، ووصفية حدسية كما هو الحال عند هوسرل، وتجريبية كما هو الحال عند هيوم وج. س. مل، ونقدية كما هو الحال عند هابرماس ونيتشه...لكنها تقوم كلها على العقلانية والتأمل والمنطق والشك في ما يطرح من أفكار ومسلمات، والنقد والتجاوز للآراء والتحيزات، والبحث عن الأصول والأسباب والغايات، حيث يستهدف البحث الفلسفي الوصول إلى الحقيقة.

من حيث النتائج: ينتهي الفلاسفة إلى آراء في المشكلات المطروحة مبنية على الحجج والبراهين والمنطق، مما يكسبها قوة الإقناع لدى جمهورها العالمي الإنساني، وقد ينتهي الفيلسوف إلى طرح مزيد من التساؤلات التي تفتح آفاقا جديدة، فالسؤال في الفلسفة أهم من الجواب، ويجب أن يتحول كل جواب إلى سؤال جديد كما يقول ياسبيرس.

إستنتاج: إذن البحث الفلسفي التقليدي بحث تأملي عقلاني ومنطقي ونقدي في قضايا الوجود والمعرفة والقيم بهدف بلوغ الحقيقة في ما يطرح من مشكلات في كل تلك المجالات.

ب- **خصائص البحث الرقمي:**

1- تعريف الرقمنة: Digitalization: الرقمنة هي التحويل التقني للمعلومات المجسدة فيزيائيا كتابة وصوتا وصورة من شكلها التناظري الى شكل رقمي Pits (1،0) بحيث تصبح قابلة للمعالجة الالكترونية.

الفرق بين **(Digitization) الرقمنة (Digitalization) التحويل الرقمي**: عادة ما يستخدم هذين المصطلحين كمترادفين، لكن هناك من يفرق بينهما، حيث أن الأول هو تحويل المعلومات من الصيغة التناظرية إلى الصيغة الرقمية، بينما الثاني هو استخدام التقنيات والبيانات الرقمية في تنظيم العمليات ونماذج العمل الاجتماعية والثقافية والمعرفية المختلفة، وهكذا فالمفهوم الأخير يبدو كمفهوم تطبيقي للرقمنة على الموضوعات المختلفة.

2- مميزات الرقمنة: تتميز الرقمنة بالخصائص التالية:

- رقمية: أي أنها تحول الأشكال الفيزيائية التناظرية إلى أرقام إلكترونية. مثل تحويل الكتب والصور والأصوات الحقيقية إلى أرقام الكترونية.
- التنظيم: تخضع المعلومات والبيانات المحولة إلى قواعد تنظيمية مختلفة. أنظر مثلا لقواعد تنظيم (وورد Word أو إكسيل Exel)
- القدرة على تخزين معلومات واسعة واستعادتها عند الطلب.
- السرعة والدقة في معالجة المعلومات.
- اختصار الجهد والوقت.
- معرفة نسبية أي تتضمن معلومات صحيحة كما قد تتضمن معلومات خاطئة.

ج- **العلاقة بين البحث الفلسفي والرقمي:** يمكن تحليل العلاقة بين البحث الفلسفي والرقمنة من خلال المواقف التالية:

1- تأثير البحث الفلسفي على الرقمنة:

أ- **موقف تعارض وانقطاع:** حيث أظهر الفلاسفة خاصة الألمان نقدا واسعا للتقنية بشكل عام والرقمنة بشكل خاص، باعتبارها إحدى مظاهر التقنية المتطورة، حيث تبدو التقنية عند (هيدغر) نمطا في الوجود يسلب الإنسان إنسانيته ويحوله إلى آلة، إذن فهي ليست فقط مجرد استخدام للأدوات، بل لها علاقة بخصوصية الإنسان وفردانيته وحريته، فالوجود الأنطولوجي للكائن مهدد بنمط وجود التقنية الأعمى، ومن هنا تتعارض مع روح الفيلسوف العقلانية النقدية والابداعية، وهذا يتوافق مع ما ذهبت اليه (شوشانا زوبوف) في تحليلها لمفهوم " رأسمالية المراقبة " عندما أكدت أن الرقمنة تحولت إلى أداة مراقبة هائلة، حيث لا نستخدم المنصات الرقمية مجانا، بل ندفع بياناتنا الشخصية، وهذا يخلق شكلا جديدا من الاستلاب، بحيث تصبح خبراتنا الحميمة وسلوكياتنا سلعة تباع للمعلنين وأصحاب المواقع، مما يؤثر سلبا على استقلالية الفرد وحريته. فضلا على أن الرقمنة تشجع العلاقات السريعة والسطحية على حساب العمق والالتزام الواقعيين.

ويذهب الفيلسوف الفرنسي جان بودريار إلى أن الرقمنة تجعلنا نفقد التعامل مع الواقع الموضوعي المادي لصالح عالم من الصور والرموز التي تعبر عن السرديات العاطفية والمصالح الخاصة. إن قابلية المعلومات الرقمية للتزييف تجعلنا نحكم على الواقع بشكل خاطئ، ذلك أن الابستمولوجيا الرقمية أو المعلومات المعرفية الرقمية ليست بريئة، بل تنتج علاقات سلطة وتخفي إيديولوجيات قوى اجتماعية وعالمية، ومن تتوفر لديه تلك المعلومات الضخمة يمكنه السيطرة على الآخرين، ولذا تتطلب النقد الفلسفي الذي يوضح ايجابياتها وسلبياتها.

أما(نيك بوستروم) فقد تطرق إلى مخاطر الذكاء الاصطناعي لاسيما في صورته الفائقة، وإمكانية سيطرته على الحياة البشرية مستقبلا، كما أن تحكم الخوارزميات في حياتنا من الائتمان إلى التوظيف تهدد مسؤولية الإنسان وقدرته على تقرير مصيره. وعليه فالفلسفة مدعوة إلى إعادة التفكير في مفهوم الإنسان والتساؤل عن مستقبله ومدى تحكمه في ذلك المستقبل.

نستنتج أن البحث الفلسفي في هذه الحالة يرى الرقمنة تهديدا لكينونة الإنسان وفردانيته وخصوصيته، ومن شأنها أن تزيف واقعنا الموضوعي وتتحكم في مستقبلنا.

نقد: يركز هذا الموقف على الطابع النقدي للبحث الفلسفي إزاء سلبيات الرقمنة متجاهلا ايجابياتها الكثيرة في البحث الفلسفي. وأن هذه السلبيات المرتبطة بالرقمنة يمكن التحكم فيها أو إزالتها، لأن خطورتها مرتبطة في العادة بسياقات معينة اقتصادية واجتماعية وسياسية، فالرقمنة في الحرب مثلا مدمرة مثل استخدام القنابل الموجهة أو الطائرات بدون طيار الإنتحارية أو التجسس...ولكن الرقمنة في الاقتصاد تضمن الشفافية وتقلل من الفساد، وكذلك الشأن في الفلسفة حيث يمكن للفيلسوف تجاوز طابع الآلية والتزييف والمخاطر المرتبطة بالرقمنة.

ب- **موقف الاتصال والتكامل:** يركز فلاسفة آخرون على أهمية البحث الفلسفي في علاقته بالرقمنة، حيث تسعى الفلسفة إلى وضع أخلاقيات تطبيقية لكل مجالات تطبيق الرقمنة مثل الطب والتعليم والاقتصاد، وهذا يضمن وضع أخلاقيات للذكاء الاصطناعي، حيث يحتاج مطورو الذكاء الاصطناعي والخوارزميات إلى إجابات عن: متى يكون النظام "عادلاً"؟ ما هي المسؤولية عن قرارات الذكاء الاصطناعي؟ فمثل هذه المشاكل تستند إلى فلسفة في الأخلاق والعدالة.

ومن الناحية الابستمولوجية يقدم الفلاسفة المعايير الأساسية لمصداقية المعرفة الرقمية: كيف نثق في المعرفة المُولَّدة آلياً؟ ما هو مصدر الحقيقة في عصر الخوارزميات؟ الفلسفة تقدم أدوات لتحليل الأساس المعرفي للأنظمة الرقمية.
من جهة أخرى تسهم الفلسفة في تحليل الماهيات والمفاهيم: ما هي الهوية الرقمية ؟ هل هي امتداد للهوية الواقعية أم كيان مستقل؟ بمعنى هل هوية إنسان في الواقع هي نفسها مثلا في الفيسبوك ؟ هل الصداقة الرقمية نوع حقيقي من الصداقة؟ ما هو مفهوم الوجود الرقمي ؟
نستنتج مما سبق أن البحث الفلسفي يرسم الحدود الأنطولوجية والمعرفية والأخلاقية للرقمنة.
نقد: هذا الموقف بدوره يرى أهمية البحث الفلسفي في الرقمنة، وكيف يسهم في تنويرنا بحقيقة معارفها ومفاهيمها وقيمتها، لكنه يغفل الطابع النقدي الفلسفي للرقمنة وتناقض العقلانية الرقمية التقنية مع العقلانية الفلسفية الإنسانية.

خلاصة: يتبين من التحليل للموقفين السابقين أن تأثير البحث الفلسفي على الرقمنة هو تأثير جدلي فمن جهة تنتقد الفلسفة الرقمنة وتوضح تعارض عقلانيتها الآلية مع العقلانية الفلسفية، ومن جهة أخرى تسهم في توضيح مفاهيمها وطبيعة معارفها وقيمتها وترسم لها الحدود الأخلاقية والمعرفية والأنطولوجية.

2- تأثير الرقمنة على البحث الفلسفي:

أ- الجوانب السلبية للتأثير:

يذهب البعض إلى أن الرقمنة تؤثر سلبا على البحث الفلسفي، حيث الاستناد إلى الوسائل والفضاءات الرقمية أدى إلى تآكل عمق التفكير والقراءة المتأنية، وتعزز التفكير الموزع السطحي عبر التمرير السريع، والتعددية المفرطة للنوافذ، والاستجابة للمحفزات المستمرة، مما يطرح صعوبة الانغماس في النصوص الفلسفية المعقدة والطويلة مثل نصوص كانط أو هيغل، وتصبح الفلسفة مقتصرة على اقتباسات ومقولات يجري مشاركتها على وسائل التواصل، منفصلة عن سياقها الحجاجي المعقد.
تتحول المعرفة تبعا لذلك إلى سلعة ويضعف النقاش الجاد، حيث الخوارزميات تفضل المحتوى السريع، العاطفي، أو المثير للجدل، ويصبح "الفيلسوف المؤثر" هو من يجيد العرض والإثارة، لا من يقدم أفكاراً أصيلة وعميقة.
إن الملاحظ أيضا في الأنترنات هو هيمنة لغات وبيئات رقمية معينة، مثلاً: الهيمنة الثقافية واللغوية للإنكليزية، الأمر الذي يطرح خطر المركزية والتبعية الفكرية، وتضاؤل حضور الفلسفات بلغات أخرى أو القادمة من تقاليد غير غربية في الفضاء الرقمي الرئيسي.
في الفضاء الرقمي يجري فصل النصوص عن سياقاتها التاريخية والنصية وحتى عن مؤلفها بسبب سهولة النسخ واللصق، وانتشار المقتطفات، الأمر الذي يؤدي إلى التعامل مع الأفكار الفلسفية كبيانات معزولة، وليس كجزء من حوار تاريخي أو مشروع فكري متكامل مثل أخذ اقتباس لفيلسوف خارج سياقه الأصلي وإساءة تفسيره.
الإرهاق المعلوماتي وتقويض التكوين الفلسفي الناتج عن فيضان المصادر والآراء في الأنترنات، وهذا يجعل عملية التمحيص والاختيار مرهقة جدا، وهذا لا يؤدي إلى شلل الباحث المبتدئ فقط، بل يؤدي إلى صعوبة تمييز المصادر الجادة عن الزائفة في بحر المحتوى، وإضعاف الثقة في إمكانية الوصول للحقيقة أو حتى لفهم رصين، مما قد يغذي النسبية المفرطة أو الشك الراديكالي غير المنتج.
نستنتج في هذه الحالة أن الرقمنة تهديد للممارسة الفلسفية الجوهرية التي تراعي العمق والتأمل والسياق والنقد وطلب الحقيقة بجدية.
نقد: التحدي الحقيقي للفيلسوف المعاصر هو مقاومة هذه التأثيرات السلبية، واستخدام الأدوات الرقمية دون أن يصبح عبداً لمنطقها، والحفاظ على تلك المساحة من التفكير البطيء والنقد

الجذري الذي يميز الفلسفة منذ بدايته، فالرقمنة قد تقدم إجابات سريعة، لكن الفلسفة تذكرنا بأهمية طرح أسئلة عميقة وبطيئة في عالم يتسارع بجنون.

ب- الجوانب الايجابية للتأثير:

في المقابل يركز البعض الآخر من المفكرين على الجوانب الإيجابية للرقمنة، فهي بالنسبة لهم ضرورية لحياتنا المعرفية والعلمية ولحياتنا العملية في كل جوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولا يمكن التخلي عنها، فالرقمنة تختصر الوقت والجهد، وبالتالي تجعل البحث الفلسفي سهلا، ومثل ذلك نجده في تقديم الدروس عن بعد، أو البحث عن مراجع للبحوث، حيث قواعد البيانات والمكتبات الرقمية وسَّعت بشكل هائل من مصادر الباحث.

ومن الفلاسفة مثل (دونا هاراواي) ترى أن الرقمنة توسع إمكانيات المعرفة وقدرات الذات، فالذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي يوسعا قدراتنا المعرفية، والواقع الافتراضي يفتح أمامنا خبرات وجودية جديدة، فوسائل التواصل الاجتماعي تعزز أشكالا جديدة من الوعي الجمعي.

وبالنسبة لدونا هاراواي دائما الرقمنة تقضي على الحدود التقليدية والفجوات الموجودة بين الانسان والآلة، الطبيعي والاصطناعي، المجسد والافتراضي، وهذا الترابط يمكن أن يكون تحرريا، ويتحدى التقسيمات الثنائية (الروح والجسد، الرجل المرأة، السلطة الشعب) التي كانت أساسا للقمع في التاريخ. وهذا من شأنه أن يلتقي مع فلسفة ما بعد الحداثة، وبالضبط مع فلسفة التفكيك لدى جاك دريدا الذي يعتبر تمييز الفلسفة الحديثة بين تلك الثنائيات ميتافيزيقي ومتحيز.

لقد حطمت الرقمنة بالنسبة لبعض الفلاسفة احتكار المعرفة من قبل المؤسسات التقليدية مثل الدولة والكنيسة أو الأحزاب، وفتحت الباب للأصوات الهامشية، مما يعزز النقاش العقلاني الديموقراطي، وهذا ما يتوافق مع أفكار يورغن هابرماس حول حرية المناقشة في الفضاء العمومي.

ظهور حقول فلسفية جديدة تماماً فلسفة المعلومات، فلسفة الذكاء الاصطناعي، أخلاقيات الروبوتات، وتجديد حقول قديمة مثل فلسفة العقل تدرس الآن إمكانية وجود عقل في الآلة، وفلسفة الجمال تدرس الفن الرقمي وتوليد الصور بالذكاء الاصطناعي.

ويمكن للباحث في الفلسفة أن يستخدم أدوات جديدة للبحث والنشر الفلسفي: منصات مفتوحة الوصول جعلت المعرفة الفلسفية أكثر ديمقراطية. وما يدل على العلاقة المتينة بين البحث الفلسفي والرقمنة هو ظهور مجالات التفاعل الرئيسية مثل فلسفة التكنولوجيا التي تدرس العلاقة الجوهرية بين الإنسان والتقنية، وأخلاقيات التقنية تركز على المسؤولية والإنصاف والشفافية في التصميم التقني، كذلك فلسفة العقل والذكاء الاصطناعي :هل يمكن للآلة أن تمتلك وعياً؟ ما الفرق بين الذكاء البشري والاصطناعي؟

الأنطولوجيا الاجتماعية الرقمية :كيف تُشكل المنصات الرقمية واقعنا الاجتماعي وهُوياتنا؟

الإبستمولوجيا الرقمية :كيف نعرف في العصر الرقمي؟ ما دور الثقة والشك في المعلومات المتدفقة؟

وأخيرا وليس آخرا، فإن (بيتر سنجر) يرى أن التقنيات الرقمية المعاصرة تجعل معاناة الآخرين مرئية وملموسة، وهذا يعزز الأخلاق الكونية وروح المسؤولية العالمية، ودليل ذلك واضح في حرب غزة، حيث تقف أغلب الشعوب إلى صف فلسطين بسبب الدور الذي تلعبه وسائل التواصل الاجتماعي.

نقد: هذا الموقف بدوره يركز على إيجابيات الرقمنة على البحث الفلسفي متجاهلا سلبياتها.

خلاصة: إذن تأثير البحث الفلسفي على الرقمنة هو تأثير جدلي يرى أحيانا الرقمنة كظاهرة سلبية وأحيانا أخرى كظاهرة إيجابية، ولكن سلبيات الرقمنة يمكن التحكم فيها، من خلال مساهمة الفلسفة في وضع القواعد والقوانين والأفكار التي تجعل الرقمنة في صالح الإنسان وتحفظ حريته وكرامته، وتحافظ عى الطابع العقلاني والانساني والعميق للبحث الفلسفي.